

وفاء الرئيس السيسي... معروف لا تطويه السنين

{هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ}

صَحَّ عَنْ قَتَادَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ}: «عَمَلُوا خَيْرًا فَجُوزُوا خَيْرًا».

ومن جميل الوفاء والخير أن تبقى المواقف الكريمة حاضرة في النفوس مهما امتدت السنين وأن يتجدد شكرها والعرفان بها جهرًا كلما استُذِّرت.

فمن المواقف الكريمة التي تُحفظ للرئيس المصري القائد عبدالفتاح السيسي إعلانه شكره المتجدد للمملكة العربية السعودية ودولة الإمارات ودولة الكويت حفظها الله جميعًا على وقوفها مع مصر العربية في وقت الشدة. ففي حفل تخرج دفعات جديدة من الأكاديمية والكلية العسكرية المصرية يوم 17 أكتوبر 2026 استذكر إمدادات البترول والغاز والبوتاجاز والقمح التي قدمتها هذه الدول عام 2013 ثم طلب تقديم التحية العسكرية للأشقاء في الخليج اعترافًا بجميلهم وحفظًا لموقفهم.

وقد جاء هذا التعاون في فترة دقيقة من تاريخ مصر المعاصر وكانت المساندة السياسية والاقتصادية من الأشقاء ركيزة مهمة لدعم الاستقرار ومساندة جهود الدولة المصرية في تجاوز تحديات أمنية واقتصادية وتنموية صعبة. وهي مواقف تجسد إدراكًا لمكانة مصر ودورها ولما يجمعها بدول الخليج العربي من روابط الأخوة والأمن المشترك.

وفي استذكار هذه المواقف ترسيخ لمفهوم الأمن القومي المشترك فاستقرار مصر وأمن الخليج ركنان متكاملان من أركان أمن الدول العربية والإسلامية. والتعاون بين الأشقاء يعزز قدرتهم على مواجهة التحديات وحماية مصالح شعوبهم وصور مقدراتها.

وما يستوقفني في هذا الموقف أن الرئيس السيسي ما زال يلهج بهذا الشكر ويجدده على مرّ السنين مستذكرًا مواقف أشقائه وتعاونهم مع بلاده. يسترسل أمام الجماهير في ذكر مساندتهم جهرًا وبحرارة من يشكرهم أول مرة وكأن السنوات لم تبعده عنه مشهد الشدة ولم تضعف في نفسه قدر الذين وقفوا مع مصر.

ومن الناس من يثقل عليه أن يشكر صاحب الفضل أمام الملأ ويستطرد في بيان إحسانه بما يوفيه حقه من الذكر والثناء ثم يزداد الأمر عليه ثقلًا إذا كرر ذلك مع مرور السنين. وهنا تتجلى قيمة ما صنعه الرئيس السيسي حفظه الله وهو على رأس دولة بحجم مصر يذكر مواقف أشقائه ويمنح الحديث عن تعاونهم مع بلاده من وقته واهتمامه ما يبقيه حاضرًا في ذاكرة شعبه الكريم.

إنه يرسخ الوفاء بموقفه ويقدم مثالًا على اجتماع رفعة المنصب وكرم الوفاء. فما يثقل على المتكبر الضعيف يهون على الكبير والكبار يتنفسون الوفاء على امتداد حياتهم.

وقد أكد الرئيس السيسي أنه لن يستحي ولن يتحرج من تقديم الشكر والتقدير للسعودية والإمارات والكويت. فالاعتراف بالجميل يرفع قدر صاحبه ويشهد بكرم نفسه وثقته بمكانته. وأي نقص في أن يشكر المرء من تعاون معه؟ إن الشكر والوفاء سبيل الأخيار والحكام ومطلب شرعي علمنا إياه رسول الله ﷺ بقوله وفعله.

فقد خطب النبي ﷺ الناس فقال عن أبي بكر رضي الله عنه: «إن من أمن الناس عليّ في صحبته وماله أبا بكر». فذكر فضله أمام الناس وأظهر مكانته وحفظ له سابق إحسانه.

وقال ﷺ: «ما لأحد عندنا يدٌ إلا وقد كافيناه ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يدًا يكافئه الله بها يوم القيامة». وقال ﷺ في موقف آخر عن أبي بكر: «وواساني بنفسه وماله».

فتأمل هذا الوفاء النبوي وهذا الاستثناء الجليل. في الصحابة عمر وعثمان وعلي وسائر أصحاب رسول الله ﷺ رضي الله عنهم جميعًا بما لهم من البذل والنصرة والفضل ومع ذلك خُصّ الخليفة الراشد أبو بكر بهذا القول: «ما خلا أبا بكر». وفي ذلك بيان لرفيع منزلته وتقدمه في هذا الباب وهو أفضل الصحابة رضي الله عنهم.

وقد يقول قائل: إنهم أعطوا لله وينبغي ألا ينتظروا شكرًا كما قال تعالى: {إِنَّمَا نُنْعِمُكُمْ لِرِجَائِكُمُ اللَّهَ لَا تَرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا}.

والجواب أن المحسن مأمور بالإخلاص ومن أحسن إليه مأمور بالشكر. فكونه لا يطلب منك جزاءً ولا شكورًا لا يسقط عنك حق الاعتراف بإحسانه. إخلاصه في العطاء لا يعفيك من الوفاء. وأبو بكر رضي الله عنه بذل لله ومع ذلك شكره النبي ﷺ وأعلن فضله بين أصحابه.

بل جاء في السنة ما يوضح هذا المعنى أكثر. فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن عمر رضي الله عنه قال: يا رسول الله لقد سمعت فلانًا وفلانًا يحسانان يذكران أنك أعطيتهما دينارين. فقال النبي ﷺ: «لكن والله فلانًا ما هو كذلك لقد أعطيته من عشرة إلى مئة فما يقول ذاك».

فذكر النبي ﷺ الفرق بين من أثنى على العطاء ومن أمسك عن الشكر والثناء والاعتراف بالجميل فأنكر عليه هذا المسلك. وهذا شاهد واضح على أن بذل المعروف لله لا يسقط عن المستفيد منه شكر صاحبه والثناء عليه.

وقد قال ﷺ: «من أعطي عطاءً فوجد فليجز به ومن لم يجد فليثن فإن من أثنى فقد شكر ومن كتم فقد كفر». والمراد كفران النعمة ووجود الإحسان.

فمن لم يجد ما يكافئ به صاحب المعروف وجد لسانًا يثني به عليه ويذكر إحسانه. وحين يكون الحديث عن تعاون الدول وتساند الشعوب فإن تقدير المواقف الأخوية وإعلانها يحفظان ذاكرة الشعوب ويعلمان أبناءها أن الوفاء يبقى مهما امتدت السنوات.

وهذا ما يفعله الرئيس السيسي. إنه يحفظ للأشقاء موقفهم ويجدد لهم التقدير ويعلم بهذا الوفاء أن من وقف مع مصر في شدتها تبقى مواقفه حاضرة في أيامها. وفي ذلك حكمة قائد يعرف قيمة التعاون بين الأشقاء وكرم رجل لا يضيق لسانه بتكرار الشكر.

فشكرًا للرئيس عبدالفتاح السيسي على هذا الوفاء النبيل وشكرًا للسعودية والإمارات والكويت على وقفها مع مصر العربية. حفظ الله مصر ودول الخليج العربي وأدام بينها الأخوة والتعاون على الخير والفلاح.

كتبه: محمد عثمان العنجري